التصوف وتمثلاته في فن الحد الأدنى

Sufism and its representations in minimal art

Assist prof. Dr. Kareem Mohsen Ali Sameer Al Kabi

Faculty of Basic Education/ university of Sumer

أ. م.د. كريم محسن علي سمير الكعبي

جامعة سومر / كلية التربية الأساسية

Dr.kareemalkabi99@gmail.com

الكلمات المفتاحية: (التصوف، التمثل، الفن، فن الحد الأدنى).

ملخص البحث

تكون البحث الموسوم (التصوف وتمثلاته في فن الحد الأدنى) من أربعة فصول، خُصص الفصل الأول للإطار المنهجي للبحث وانتهت مشكلة البحث بالتساؤل التالي: ما التصوف في الفن؟ وما تمثلاته في فن الحد الأدنى؟ كما تضمن هدف البحث وأهميته والحاجة إليه. أما الفصل الثاني فقد تناول مبحثين؛ الأول جاء بعنوان: التصوف نشأة الفكر وامتداده، فيما تناول الثاني: فن الحد الأدنى. في حين خُصص الفصل الثالث لإجراءات البحث وقد اختار الباحث (3)نماذج بطريقة قصدية وتم تحليلها باعتماد المنهج الوصفي (أسلوب تحليل المحتوى الكيفي) بالاستناد إلى مؤشرات الإطار النظري. أما الفصل الرابع فقد خُصص لنتائج البحث وكان منها:1- يتمثل التصوف في فن الحد الأدنى بأن كل منهما يعتمد نشدان الحقيقة عن طريق الزهد في الحياة والفن من خلال التعويل على أبسط الموجودات لتحقيق الصفاء الروحي. 2-يمثل الحدس الطريق الأنسب لبلوغ المعرفة والغايات في التصوف وهو ما نجد تمثله في فن الحد الأدنى. أما الاستنتاجات: 1-يمثل فن الحد الأدنى حركة فنية مغايرة في مسار الفن العالمي، من خلال اعتماد أقل المواد، المرسومة أو الجاهزة، وتوظيفها في انجاز العمل الفني. 2-تأثير الفكر الشرقي عموماً، والإسلامي المتمثل بالتصوف خصوصاً، في حركات الفن العالمي والغربي.

وانتهى البحث بالتوصيات والمقترحات وقائمة المصادر.

Keywords: (Sufism, Representation, Art, Minimal Art).

Abstract

The research titled "Sufism and Its Representations in Minimal Art" consists of four chapters. The first chapter is dedicated to the methodological framework of the research, concluding with the research problem encapsulated in the following question: What is Sufism in Art, and what are its representations in Minimal Art? This chapter also includes the research objectives, its significance, and the need for it.The second chapter addresses two main topics: the first is titled "Sufism: The Origin and Expansion of the Thought," while the second focuses on "Minimal Art."The third chapter is devoted to the research procedures. The researcher intentionally selected three models and analyzed them using the descriptive approach (qualitative content analysis method) based on indicators from the theoretical framework.The fourth chapter presents the research findings, which include: 1- Sufism is represented in Minimal Art through the shared pursuit of truth by embracing asceticism in life and art, relying on the simplest elements to achieve spiritual purity.2-Intuition represents the most appropriate path to achieving knowledge and goals in Sufism, which we find represented in the art of the minimalist.

.As for the conclusions: 1- Minimal Art represents an alternative movement in the trajectory of global art by utilizing minimal materials, whether drawn or ready-made, and employing them in the creation of artistic works. 2- The influence of Eastern thought in general, and Islamic thought

represented by Sufism in particular, on global and Western art movements.

The search ended with recommendations, proposals and a list of sources.

الفصل الأول/ الإطار المنهجي للبحث

أولاً: مشكلة البحث:

يحتكم الفن، بوصفه نشاطاً إنسانياً، إلى جملة من التأثيرات الفكرية والأدائية على السواء، وعلى مر العصور تقريباً. فهو يدفع بالأفراد إلى إيجاد صيغة جديدة للعلاقة بينهم وبين الواقع الذي يعيشوه ليخلّصهم من حيثيات الوجود المادي إلى وجود آخر يجدون فيه ضالتهم كونه يمثل متنفساً لطرح أفكارهم وتطلعاتهم وحتى سلوكياتهم.

كما يمثل التصوف نشاطاً إنسانياً هو الآخر يساعد الأفراد على التخلص من كل متعلقات الوجود، والسعي لبلوغ السعادة والراحة ونشدان الغايات متخذين من الزهد رافداً وملهماً لتهجداتهم، ومعتمدين نبذ أساليب الرفاهية والبذخ. لذا فإن كلاً من الفن والتصوف يرنو إلى صفاء النفس ونقاءها، وبذلك يحاول الباحث إيجاد تمثلات الأفكار الصوفية في الأعمال الفنية، وتحديداً حركة فن الحد الأدنى التي ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين في أمريكا من خلال التساؤل: ما التصوف في الفن؟ وما تمثلاته في فن الحد الأدنى؟

ثانياً: أهمية البحث والحاجة إليه:

تتحدد أهمية البحث الحالي بتناوله موضوع التصوف من خلال الوقوف على المفهوم ونشأته وتوظيفه في حقل من الفنون المعاصرة في الغرب، ألا وهو فن الحد الأدنى. وبالتالي إيجاد مقاربة فكرية بين مفهومين في أزمنة مختلفة وأماكن مختلفة، وهما التصوف كفكر وسلوك تعبد شرقي إسلامي، وفن الحد الأدنى كفكر وممارسة فنية غربية أمريكية.

ثالثاً: هدف البحث:

يهدف البحث الحالي تعرّف تمثلات التصوف في فن الحد الأدنى.

رابعاً: حدود البحث:

يتحدد البحث الحالي بدراسة التصوف وتمثلاته في فن الحد الأدنى في أمريكا للمدة الزمنية (1960-1974).

خامساً: تحديد مصطلحات البحث وتعريفها:

1- التصوف: Mysticism

أ - التصوف: صفا: الماء، يصفوا صفواً، وصفاءً نقيض كدرَ، والجو: لم تكن فيه لطخة غيم، الصفاء: نقيض الكدر، والصفو: الإخلاص في المودة، الصفي الحبيب الصافي(الشرتوني، بلا تاريخ، صفحة 139).

ب - التصوف في دلالته العامة هو الاعتقاد بإمكانية معرفة الذات الإلهية معرفة مباشرة بدون وساطة(سبيلا، 2017، صفحة 136).

ج – يعّرف التصوف بأنه:

1) سيكولوجيا: حالة نفسية يشعر فيها المرء بأنه على اتصال بمبدأ أسمى.
2) فلسفياً: نزعة تعوّل على الخيال والعاطفة أكثر مما تعوّل على العقل والتجربة الحسية.
3) دينياً: علم القلوب الذي يبحث في أحوال النفس الباطنة، ويسعى إلى تصفية القلوب والطهر والتجرد ويؤدي إلى الاتصال بالعالم العلوي(سعيد، 2004، صفحة 111).

د- ويعرفه (ديلاكروا) بأنه الحدس الذي يثار من المعرفة العقلية(الشرتوني، بلا تاريخ، صفحة 139).

هـ- التصوف السير في طريق الزهد، والتجرد عن زينة الحياة وشكلياتها وأخذ النفس بأسلوب من التقشف وأنواع من العبادة والأوراد والجوع والسهر في صلاة، حتى يضعف في الإنسان الجانب الجسدي ويقوى فيه الجاني النفسي أو الروحي فهو إخضاع الجسد للنفس بهذا الطريق المتقدم سعياً إلى تحقيق الكمال النفسي كما يقولون وإلى معرفة الذات الإلهية وكمالاتها وهو ما يعبرون عنه بمعرفة الحقيقة(ابراهيم، 1395هـ، صفحة 1).

2- التمثّلRepresentating

أ- تمثل (مثل الشيء بالشيء): سواه وشبه به وجعله على مثاله. ومثّلَ الشيء لفلان صوره له بالكتابة أو غيرها(صليبا، 1982، صفحة 341).

ب-التمثّل كما يعرفه (الكعبي،2019) هو عملية استحضار الأفكار والتصورات الذهنية والنفسية وإسقاطها في تكوينات تشكيلية دالة عليها(الكعبي، 2019، صفحة 126).

3- فن الحد الأنى:Minimal Art

أ- مصطلح شاع في الأساس منذ عام 1960 في فن النحت أو الظواهر الفنية ذات الأبعاد الثلاث لوصف الظواهر غير المعبرة أو الوهمية أو التي تشكلت بالصدفة، ومن تسمياته أيضاً الفن الاختزالي، الفن الاعتدالي، فن المينمال، الفن الهيكلي (البنائي)، الفن التقليلي(edward, 2004, p. 139).

ب- فن الحد الأدنى هو أبسط أنواع الفن التجريدي وأكثره اختزالاً واختصاراً سواء في التقنية أو الموضوع معتمداً في تأثيره وجاذبيته على الشكل البسيط واللون المسطح، في مساحات كبيرة صافية منفذة غالباً بالأدوات مع أداء متقن ودقة فائقة(المعاطي، 2021، صفحة 223).

الفصل الثاني/ الإطار النظري

المبحث الأول/ التعالق المفهومي بين التصوف والفن:

يمثل التصوف بشكل عام نزعة إنسانية ظهرت في كل الثقافات بصورة متفاوتة، وهي في جوهرها تعبير عن إشباع الجانب الروحي، والزهد في مُتَع الحياة الفانية،والركون والدعوة إلى قوة أعلى، ورغبة في التعالي عن الشهوات المادية، بغية الارتقاء في سلم الصفاء الروحي والوصول إلى السعادة.

وتختلف الآراء في نشأة التصوف وبداياته، فمنهم من يجده قديماً بقدم الأديان السالفة، ومنهم من يراه مزيجًا من مجموعة سلوكيات خاصة بالتدين بأكثر من دين، ومنهم من يحدده بملامح إسلامية بحتة. غير أن (العامري، 2011) يبين في دراسته إلى أن الصوفية هي تعاليم دينية نشأت في القرن الثامن الميلادي وانتشرت في البلاد العربية في عهد الخلفاء، تحت تأثير الفلسفات والديانات السابقة (الهندية، الصينية، الفارسية، اليهودية والمسيحية)(العامري، 2011، صفحة 24).

والتصوف هو سلوك قوامه التقشف والزهد والتخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل، لتزكو النفس وتسمو الروح. وهو حالة نفسية يشعر فيها المرء بأنه على اتصال بمبدأ أعلى(الشرتوني، بلا تاريخ، صفحة 1). لذا يعتقد الصوفية أن في وسع الإنسان أن يصل إلى الحقيقة بغير طريق العقل، وأنه يستطيع أن يصدق بالشيء من دون أن تستبين له أسبابه العقلية، لأن الحكم تابع للعاطفة والإرادة(صليبا، 1982، صفحة 283). وبذلك فالتصوف هو مجموع النظريات الموضِحة للمعارف التي هي ثمرة من ثمرات هذه الحياة.

كما ويطلق لفظ التصوف على النظريات التي يهيم أصحابها في بيداء الوهم، ويعتمدون في إدراك الحقيقة على العاطفة والحدس والخيال أكثر من اعتمادهم على الملاحظة والتجربة الحسية والاستدلال، ويزعمون أن في وسعهم أن يدركوا بالإلهام أسراراً لا يدركها العلماء بعقولهم. (صليبا، 1982، صفحة 283). لذا جعَل المتصوفة العقل والحواس والحدس على ثلاث درجات تتفاوت صعوداً من حيث درجة يقين المعرفة، فالمعرفة عن طريق الحواس هي أدناها مرتبة وهي تستند إلى المشاهدة الحسية، وأوسطها المعرفة عن طريق العقل، أما أعلاها فعي المعرفة عن طريق الحدس باعتباره الحق الذي يشهده العارفون مباشرةً بغير حجاب وفيها يكون اليقين الكامل(محمود، 2017، صفحة 63).

إن التصوف يشترك مع الفن بنوع من الترابط فكلاهما يسعى إلى تطهير النفس من أدرانها والسعي إلى عالم المطلق، وكلاهما يعالج موقفاً إنسانياً معيناً(الغزالي، 2008، صفحة 118). مع اختلاف الأساليب والطرائق، حيث يؤكد على ذلك (هربرت ريد) بقوله:" إن هذا الاعتقاد الروحي إنما يقوم على أن وراء المظاهر والأشياء اتجاهاً ميتافيزيقياً، فكانت مهمة الفنان البحث عمّا وراء الطبيعة، فمنذ أن وعى الإنسان البدائي، النشاط الفني، تولد له الدافع إلى إقامة عالم خالص، عالم من القيم الروحية المطلقة ليكون بديلاً عن عالم الواقع المرير المتغير والخاضع لقوانين الطبيعة"(حسن، بلا تاريخ، صفحة 46).

لذا فالفن هو عالم خالص، شأنه شأن التصوف، يتعامل فيه الفنان مع المكنونات الداخلية بصفة فردية خالصة، ويستطرد فيه تأملاته ونزوعه نحو الخلاص من العالم المادي متجهاً صوب العالم الروحي.

المبحث الثاني/ فن الحد الأدنى:

إن الفن بشكل عام نشاط بشري يحتكم إليه الفنان للخلاص من عالم غير مرضٍ إلى عالم يجد فيه ضالته الفكرية والحدسية والجمالية. وذلك عبر أساليب متباينة، أو تكاد تكون متفردة مع الفن الحديث والمعاصر.

وحركة فن الحد الأدنى سعت بتفردها إلى أن قلّصت عناصر الفن إلى أشكال بسيطة (هندسية في الغالب) وأحياناً ألوان قليلة. إذ يمكن النظر إلى هذا الفن بعَدِّهِ نوعاً من الاحتفال بالمواد الأساسية التي يستعملها الفنان. فاللوحة عبارة عن طلاء على قماش، والنحت عبارة عن معدن أو حجر أو خشب...الخ، ومن خلال تجريد الفن إلى

هذه المواد حاول الفنان التأكيد على قيمة الفن لذاته وليس باعتباره انعكاساً لأي شيء آخر(GILBERT, 1995, p. 479).

وفن الحد الأدنى، يمثل حركة واضحة المعالم في مسار الفن، وهو بالدرجة الأولى فن نحت بما يمثله من أحجام موضوعة وسط فضاء كي تحركه أكثر من كونه فن رسم، وإن ما يراد بهذه العبارة (نحت) لا يتفق بالضرورة مع المفهوم التقليدي لها، لأن الطابع الحيادي، اللاشخصي، لأعمال الفنان يتجلى في تكريس (الفكرة) بدلاً من العمل الفني ذاته من حيث هو شيء محدد، لذلك يوكل الفنان أحياناً أمر انجاز عدد كبير من أعماله إلى محترفات أو مصانع، وإن أعمال هذا الفن تتألف من أحجام هندسية صنعت من مواد بغية تحديد نظام فضائي جديد كالفولاذ والخشب والحديد والزجاج الاصطناعي والألومينيوم. كما أن الفضاء المحيط يقوم بدور لا يقل أهمية عن دور العمل الفني نفسه؛ فالمكان الذي يحتضنها يشكل عنصراً أساسياً في تقويمها(أمهز، 1998، صفحة 248).

لذا جاءت أعمال هذه الحركة بأشكال هندسية بسيطة وقائمة بذاتها من مثل المستطيلات والمكعبات الموضوعة في فضاءات قاعة العرض وكأنها حقائق مادية تنحصر دلالتها في وجودها المادي البحت فقط، حتى بدت وكأنها تسعى إلى تحقيق نموذج العمل الفني المطلق القائم بذاته والمكتفي بنفسه، مما دعا الناقد الأمريكي (مايكل فريد) أن يصف الحد الأدنى في الفن بأنه ذلك الضرب من التشكيل الفني الذي يدفع المتلقي بالضرورة إلى ملاحظة المكان الذي يتواجد فيه العمل الفني والتعرف عليه. ففي الماضي نتأمل ما يقع داخل إطار اللوحة ونتجاهل الحائط المحيط بها، أما في حالة فن الحد الأدنى فنحن مدفوعون إلى إدراك ملامح القاعة التي نقف على أرضها وإلى إدراك حالتنا الخاصة الجسمية والنفسية، لقد مكنني فن الحد الأدنى من أن أثبت بنفسي لنفسي أن الفن إنما يكمن في تلك العلاقة بين الدوافع الكامنة وراء الإبداع الفني وبين المتلقي لهذا الإبداع(نك، 1999، صفحة 38).

أكثر من مثّل هذا الاتجاه هو الفنان (دونالد جود)، الذي يصف ممارسته بقوله "الأبعاد الثلاثة هي فضاء حقيقي، إن ذلك يخلصنا من مشكلة الوهم البصري وفي الفضاء المعرفي، وحول العلامات والألوان، وهو الخلاص من أحد أكثر البقايا البارزة والممقوتة في الفن الأوربي. إن الحدود المتعددة للرسم لم تعد قائمة، الفضاء الحقيقي هو جوهرياً أكثر قوة وخصوصية من لطخة زيت على سطح مستوي".(سميث، 1995، صفحة 219)

ويؤكد (جود) في أعماله التي تتضمن مكعبات مثبتة في الحائط،إن ترتيب صناديقه كان بدون علاقة، لكنه يشدّد أيضاً بأن ترتيبه ليس عقلانياً انه يقول ببساطة ترتيب (غير معنون) ويمكن اعتباره كقطاع مأخوذ من المتصل وان العَرض لطول هذا القطاع مؤيد بإرشادات (جود) إلى كادر القاعة بأن عدد من الصناديق المعلقة يعتمد بأن يكون متغيراً ليناسب ارتفاعات السقف المختلفة.

أما أعمال (فرانك ستيلا) فقد حددت أساليب الفن من خلال التأكيد على أن الأشياء تبقى حقيقية كما هي، ليتحرر الفن من التقاليد المتعلقة بالرسوم التجريدية، التي انتقدها جود ودعا إلى ترسيخ وعي من نوع جديد فيما يتعلق بالفن والنحت بشكل خاص. وتنبأ بانبثاق طراز جديد وغير مألوف من الفن ذي محتوى ثلاثي الأبعاد، مبني على أسس مبسطة يقر ببنية أو صورة من الظواهر الطبيعية والبيولوجية أو السيكولوجية، إذ تؤلف الوحدة الوظيفية ذات الخصائص المعينة موضوعها بمجرد مجاورتها بعضها إلى البعض الآخر(haskell, 1982, p. 39).في هذا الصدد يقول "تستند أعمالي إلى حقيقة مفادها أن ما يمكن رؤيته فقط هو الموجود، إنه في الحقيقة شيء. وكل ما أريده أن يحصل عليه أي شخص من أعمالي، وكل ما احصل عليه منها هو في حقيقة أنك تستطيع أن ترى الفكرة بأكملها من دون ارتباك. ما تراه هو ما تراه"(SAYRE, 2003, p. 513).

ونجد أعمال الفنان (دان فلافن) يمتزج فيها الضوء واللون معاً، إذ سعى إلى وضع الأضواء على قماش أحادي اللون، ثم أزال القماش تماماً، وبدأ العمل بأنابيب الفلورسنت، ثم طور منحوتاته إلى بيئات ضوئية بحجم الغرفة(htt).

وفي نهاية المطاف نجد أن ما يميز أعمال فن الحد الأدنى هو ضخامتها، وبرودتها، وحيادها الجمالي المطلق، معتمدين الشكل المكعب بالدرجة الأساس في البنية التأليفية للعمل(أمهز، 1998، صفحة 481).

الجدير بالذكر أن فن الحد الأدنى لا يقتصر على أعمال النحت فقط، بل كذلك التصوير، معتمدين البساطة العالية في الأشكال - والتي في الغالب هندسية- وكذلك الألوان، ووفي الوقت نفسه تجسد التخلص من الإحساس بدور الفنان مما يجعل تأمل المشاهدين حضور فاعل ورئيس لتذوق الأعمال(ADAMS, 2004, p. 514)، ففي تصوير الحد الأدنى ينطلق الفنان من التحولات الشكلية المرافقة لتطور الحركة الفنية منذ التكعيبية والتيارات الفنية اللاحقة، وهي التحولات المتمثلة بتبدل الفضاء التشكيلي أو زواله، والتخلي عن علم المنظور وما يرتبط به من إيهام بالمدى الفضائي

(البعد الثالث)، ويرى فنانو هذه الحركة أن هذا التحول قد أسهم في التخلي تدريجياً عن مظاهر التصوير الملازمة له لصالح المادة نفسها (مساحة اللوحة وما تحمله من ألوان)، وبذلك تحول العمل الفني بالنهاية إلى مجرد مفهوم؛ فاكتفت (باتريسيا جوهانسون) بأن قسّمت لوحتها الكبيرة (2.59 × 8.53م) إلى قسمين باتجاه الطول بواسطة خط أسود عريض. بينما عمد (جو باير) إلى توضيح أطراف اللوحة ذات المساحة الرمادية الفاتحة والمتجانسة باستخدام اللون القاتم إطاراً لها. أما (آنييس مارتان) فاكتفت بأن وضعت على لوحة مربعة خطوطاً رمادية دقيقة تتقاطع عمودياً وتقسم المساحة المصورة كلها إلى عدد كبير من المستطيلات والمربعات الصغيرة المتساوية.(أمهز، 1998، صفحة 481).

ويعرض الباحث إحصائية لفناني الحد الأدنى بلغ عددهم (25) فناناً. أفرد لهم ملحقًا في نهاية البحث.

مؤشرات الإطار النظري:

1- يمثل التصوف، وكذلك الفن، تجربة شخصية فردانية.
2- إن التصوف، وكذلك الفن، يتمثل بكونه حالة شعورية يشعر المرء فيها بأنه على اتصال بمبدأ أسمى، لذا نجد أن كل من المتصوف والفنان ينشدون التسامي في ممارساتهم ونشاطاتهم.
3- ينشد المتصوف معرفة الحقيقة عن طريق الحدس والخيال بدلاً من العقل والحواس.
4- يسعى التصوف، وكذلك الفن، إلى أن يعالج موقفاً إنسانياً معيناً.
5- يعتمد التصوف على الزهد والتخلص من الكماليات التزويقية من أجل التعالي ونشدان الصفاء الروحي.
6- تُنجز أعمال فن الحد الأدنى بأقل المواد.
7- يعتمد فن الحد الأدنى الفكرة وتوظيفها – في الغالب هندسياً- مما يجعل العمل الفني مكتملاً بذاته.
8- يعد الفضاء في فن الحد الأدنى جزءاً إبداعياً من العمل الفني.
9- يبنى فن الحد الأدنى على أسس مبسطة (البساطة) مرتبطة بالظواهر الطبيعية والبيولوجية والسيكولوجية.
10- فن الحد الأدنى هو فن فكرة، تدل على أن العمل الفني مكتفٍ بذاته.

الفصل الثالث/ إجراءات البحث ومنهجيته

أولاً: مجتمع البحث:

تعد أعمال فناني فن الحد الأدنى المنجزة ضمن المدة (1960-1974) مجتمعاً للبحث الحالي، وقد رصد الباحث (45)عملاً كمجتمع للبحث الحالي.

ثانياً: عينة البحث:

اختار الباحث عينة للبحث الحالي والمتمثلة بـ(3) نماذج، وبطريقة قصدية لتحقيق هدف البحث الحالي.

ثالثاً: منهج البحث:

عمد الباحث إلى المنهج الوصفي (أسلوب تحليل المحتوى الكيفي) كونه المنهج الملائم لطبيعة بحثه.

رابعاً: أداة البحث:

اعتمد الباحث في تحليل عينة بحثه بالاعتماد على مؤشرات الإطار النظري، وذلك من خلال وصف النماذج وتحليلها ومن ثم رصد تمثلات التصوف في أعمال فن الحد الأدنى.

خامساً: تحليل العينة:

أنموذج العينة (1)

اسم الفنان: دان فلافن

المكونات: شمعة مضيئة

تاريخ العَمل: 1960

مكـان العَرض:متحف دالاس للفنون الجميلة / تكساس

الوصف والتحليل:

العمل عبارة عن شمعة فلورسنت كهربائية بيضاء موضوعة بشكل عمودي في الزاوية ومرصوفة من الجزء السفلي بحيث تلامس الأرضية ذات اللون البني الغامق، أما الجدران فذات لون بني فاتح.

يعبّر الفنان في هذا العمل عن الموضوع الرئيس لفن الحد الأدنى، وهو أن العمل الفني ما هو إلاّ فكرة؛ وهذه الفكرة وظفها الفنان بتجربة شخصية فردانية، ومما دفع الفنان لعمل من مثل هكذا أعمال هو إشباع جانبه الروحي وتغذية خلجاته التي تنبض بإيجاد أعمال فنية من نوع متفرد لا يشابهه أحد فيها، وخصوصاً أنه بدأ هذا العمل –والأعمال المشابهة- بداية العقد السابع من القرن المنصرم، أي أنه فتح باب التجريب في استعمال الضوء لإنجاز أعمال فنية. وهو ما يعتمده المتصوف في نزوعه نحو التجريب في إيجاد علائق بينه وبين خالقه لغرض التقرب منه والتعلق به.

يعتمد التصوف الزهد كسلوك مميز لطبيعة حياة المتصوف، وهو ما وجد صداه في فن الحد الأدنى، إذ تنجز أعمال فن الحد الأدنى بأقل المواد، وهو ما أكده (فلافن) في عمله هذا، إذ استعمل مواد صناعية جاهزة وهي عبارة عن شمعة كهربائية وتوظيفها على أنها عمل فني. كما يزداد تأكيده بهذا المنحى حين عمد إلى استعمال الشمعة بلون واحد فقط وهو اللون الأبيض تأكيداً منه على أقلية المواد المستعملة في انجاز العمل. بالإضافة إلى وضعها في فضاء ذي لون واحد وهو اللون البني الفاتح للجدران. وما جنوحه لاستعمال اللون الأبيض إلاّ تعبيراً عن النقاء والصفاء الذي يرتبط به اللون الأبيض والذي يعتمل بداخله. وكذلك الحال بالنسبة للتصوف، فالنقاء والصفاء الروحي هو ما يميزهم ويفردهم.

كما أن استعمال الشمعة المضيئة داخل فضاء واسع يعيد تأكيد فكرة أن الفضاء في فن الحد الأدنى يمثل جزءاً إبداعياً من العمل الفني.

كل ذلك كان كفيلاً بأن يدفع الفنان بالمشاهدين إلى تكوين قراءات متعددة تجعل منهم متلقين مشاركين في وصف وتوضيح العمل الفني ككل.

<u>أنموذج العينة (2):</u>

اسم الفنان: دونالد جود

اسم العمل: بدون عنوان

المواد: ألومنيوم وصلب وأكريلك

الأبعاد: 20×80×103سم للعنصر الواحد

مكان العرض: المتحف الوطني للفن الحديث، باريس

تاريخ العَمل:1972م

الوصف والتحليل:

يتكون العمل الفني من مجموعة مكعبات معلقة ومرصوفة من أحد جوانبها على جدار أبيض وبشكل عمودي واحدة فوق الأخرى بمسافات متساوية. لونت أضلاع المكعب الظاهرة للمشاهد وبقي كل من سطح المكعب وقاعدته من دون تلوين. أي بقيت ظاهرة باللون الأبيض، الذي يتم تسقيط الأضواء الملونة عليه. وقد كرر الفنان (جود) هذا العمل مرات عديدة مستعملاً عدد محدود من المكعبات، إذ بلغ عددها (10) مكعبات وعرضها بتأثيرات لونية مغايرة في كل مرة، ثم أضاف عليها مكعبات أخرى حتى أصبحت (12) مكعباً.

ينبئ العمل الفني للفنان بمسحة من الهدوء والسكينة للوهلة الأولى، إذ عمد الفنان إلى تبني فكرة الزهد بالأشكال الفنية من خلال اعتماده شكلاً واحداً عمل على تكراره بالوضعية نفسها، وكذلك الحجم نفسه، فضلاً عن طريقة تثبيته وعرضه إلى الجمهور، وذلك سعيًا منه في إحداث تأثير روحي في المتلقي من أن فن الحد الأدنى هو فن رتابة وصفاء روحي رتيب يشابه عبادات الصوفي في سلوكياته المتكررة مما يوحي بالاستقرار النفسي والعقلي من دون التيه في عالم من الأشكال المختلفة

والمتنوعة والهجينة في باقي أعمال الفنون، وخصوصاً أن أعمال فن الحد الأدنى تزامن في ظهورها أعمال الغرابة والتنوع في الحركات الفنية الأخرى كالتعبيرية التجريدية والفن الشعبي.

إن تغيير الألوان في الأشكال يتبع إلى تغيير جذري في طبيعة العمل الفني ككل، وذلك بقيام الفنان اعتماد صفائح ذات لون مغاير عن ألوان العمل في العَرض الأول، فبعد أن كانت باللون الأزرق للمرة الأولى، واللون البني (أو الذهبي) في المرة الثانية، أصبحت باللون الأخضر في المرة الثالثة، كما زاد في هذه الأخيرة اثنين من المكعبات. وما جنوح الفنان إلى تغيير الألوان إلاّ تأكيداً منه إلى أن اعتماد النجاح والانجاز يكمن في التعامل مع الموجود من دون البحث عن بدائل أو اجتهادات لتوليف وتكوين أشياء وأجزاء وأشكال جديدة، وهنا نجد أن هذه الفكرة تتطابق مع فكرة التصوف من حيث سلوك الفرد وعبادته تنبع من قناعته بما هو موجود ومتوفر لديه. وبذلك تتحقق فكرة الزهد بكل تفصيلاتها.

من المعروف أن التصوف ظهر في أكثر من مكان وزمان، غير أنه برز بصورة رئيسة مع الدين الإسلامي، وبذلك نشير إلى مدى توافق فكرة هذا العمل الفني مع الدين الإسلامي؛ وذلك من خلال اعتماد الفنان في تنفيذ العمل بألوان ذات صلة بالعبادات وهي كل من الأزرق الموجود داخل الأضرحة والمراقد، واللون الذهبي الموجود في قبابها، فضلاً عن اللون الأخضر الذي يذكرنا بطبيعة الخير والاستقرار والهدوء لارتباطه بالأرض ومغروساتها. وخلاصة القول إن كل من التصوف وفن الحد الأدنى يركنون إلى اعتماد ألوان ذات علاقة بطبيعة العبادات والخير المتأتي من الأرض.

كما أن اعتماد الفنان ترتيب وتركيب أجزاء العمل الفني على الجدار ينبه إلى شيء جدير بالاهتمام وهو اتصال الأجزاء بكل أكبر منها يحتويها وهي فكرة ذات أصل صوفي تتمثل بعلاقة المتصوف كجزء، واتحاده مع كل أكبر يحتويه ويضمه ويؤثر فيه، وهي فكرة وجودية بحتة.

أنموذج العينة (3)

اسم الفنان: فرانك ستيلا

اسم العمل: منتزه الشكوك

المواد: أكريلك على قماش

الأبعاد: 342.9×342.9 سم

تاريخ العَمل:1974م

الوصف والتحليل:

يتكون العمل الفني من مجموعة مربعات يبلغ عددها 23 مربعاً، مرسومة بألوان الأكريليك وملونة بألوان مختلفة تكبر الواحدة عن الأخرى بأبعاد متساوية تبدأ من المربع الموجود في مركز اللوحة والملون باللون النيلي، الذي يتكرر (3) مرات، ثم على التوالي الجوزي الغامق مرتين في أماكن متفرقة، الأزرق (4) مرات أماكن متفرقة، البرتقالي المحمر (4) مرات أماكن متفرقة، البرتقالي مرتينأماكن متفرقة، الأخضر مرتينأماكن متفرقة، البني الفاتح مرتينأماكن متفرقة، الليموني مرتين أماكن متفرقة، الأصفر مرة واحدة، ثم الأسود مرة واحدة. وقد جعل الفنان تراتبية هذه الألوان من المركز إلى الأطراف بدءاً من المربع النيلي إلى الأصفر، ثم بطريقة معكوسة إلى النيلي، لينهي تحديد هذه المربعات بمربع ملون باللون الأسود. وقد وضع الفنان بين كل من هذه المربعات المتزايدة في الحجم – أو المتناقصة- حداً فاصلاً باللون الأبيض، والذي يمكن أن يشكل هو الآخر مربعات بيضاء ذات حجم صغير جداً يبدو ليظهر وكأنه حداً فاصلاً أكثر من كونه (22) مربعاً بين جميع المساحات اللونية. وهذا العمل ينتمي لمجموعة كبيرة من الأعمال المتشابهة.

يشكّل العمل الفني صورة نمطية للانسجام والاستقرار والثبات المتأتي من جراء تكرار المساحات اللونية المربعة، جاعلاً من اللوحة أنموذجاً للاحتواء؛ الاحتواء الوجودي الذي نحيا داخله، والذي يحيطنا من جميع الجهات، فقد وظف الفنان فكرته هذه بجعل مستويات (الحياة، المعرفة، السلوكيات...) محيطة بنا من كل صوب واتجاه ومحدداً إياها بالاتجاهات الأربع. فالثبات هو ركيزة فن الحد الأدنى الرئيسة وجوهرها، وإن اعتماد الفنان شكلاً واحداً مكرراً يدل على أن العمل الفني في حركة فن الحد الأدنى من الممكن أن يُنجز من شكل واحد فقط ليصل الحقيقة. وهذه الفكرة نجدها في ديدن التصوف، فالمتصوف يرى بأن هنالك سلوكاً واحداً فقط لولج الحقيقة وهو سلوك العبادة المرتبطة بقناعته بما هو موجود. فكل من التصوف وفن الحد

الأدنى يعتمدان طريقاً واحداً، مجرداً، مبسطاً، مختصراً، بعيداً عن التهويل والتزويق، ناشداً الحقيقة بأبسط صورها.

إن اعتماد الأشكال البسيطة – المربعات- يفضي بنا إلى أفكار بعد مما تبدو ظاهرة للعيان، فثمة ما ينبئ بتأثيرات أحدهما على الآخر؛فلا انقطاع بين شكل وآخر، أو بين مربع وآخر، بل دائماً هنالك اتصال وظفه الفنان (ستيلا) باللون الأبيض، ليثبت لنا أن الحقيقة ما هي إلاّ عبارة عن ارتباط وثيق الصلة بين الأشياء – الأفكار- من دون انقطاع أو انعزال، والحال نفسه مع التصوف، فهنالك على الدوام ارتباط بين التفكير – الزهد، التعبّد، التأمل- وبين ولوج الحقيقة والذي يحصل من خلال الحدس، والتأمل والنقاء والصفاء الروحي، والذي عبر عنه الفنان باستعماله اللون الأبيض ذي الدلالات المذكورة.

الفصل الرابع/ النتائج والاستنتاجات

أولاً: النتائج:

1- يتمثل التصوف في فن الحد الأدنى بأن كل منهما يعتمد نشدان الحقيقة عن طريق الزهد في الحياة والفن من خلال التعويل على أبسط الموجودات لتحقيق الصفاء الروحي.
2- يمثل الحدس الطريق الأنسب لبلوغ المعرفة والغايات في التصوف وهو ما نجد تمثله في فن الحد الأدنى.
3- تمثل الحواس حضوراً ثانوياً في طبيعة تحقيق المعرفة بالنسبة للتصوف، وهذا المبدأ اعتمده فناني الحد الأدنى للغوص في أعماق الحقيقة الفكرية والفنية.
4- في كل من التصوف وفن الحد الأدنى يتم التخلي عن الحواس للوصل إلى الجوهر.
5- يمثل التصوف سلوكاً يضفي بعداً نفسياً لدى الأفراد يبتغي تحقيق التسامي على الواقع، وهذا ما وجد صداه في فن الحد الأدنى الذي يعتمد تحقيق الفكرة والتسامي على الواقع التقليدي للفن. كما في نماذج العينة (1، 2، 3).
6- تهجدات المتصوف تمني النفس باتحادها مع الكون المحيط، وهذه الفكرة وجدت تمثلها في أعمال الحد الأدنى من خلال اتحاد العمل بالفضاء المحيط به. كما في نماذج العينة (1، 2).
7- التصوف كفكر وسلوك ينتمي للواقع الإسلامي وجد تمثلاته في فن الحد الأدنى من خلال اعتماد هذا الأخير ألوان ذات علاقة بالعبادة الإسلامية كما في أنموذج العينة (2).

8- اعتماد فناني الحد الأدنى الأشكال الهندسية في انجاز أعمالهم. وكما في نماذج العينة (1، 2، 3).
9- ساعد فن الحد الأدنى إيجاد علاقة بين الفن والمتلقي من خلال جعل الأخير مشاركاً في وصف الأعمال وتفسير الفكرة الرئيسة وقراءتها بطرق عديدة تجعل منه مشاركاً قارئاً مبدعاً.
10- افرز فن الحد الأدنى عن توجه جديد في الفن، تمثل في اعتماد الضوء والأشياء الجاهزة والصناعية الأساس في تشكيل للأعمال الفنية. وكما في أنموذج العينة (1).

ثانياً: الاستنتاجات:

1- يمثل فن الحد الأدنى حركة فنية مغايرة في مسار الفن العالمي، من خلال اعتماد أقل المواد، المرسومة أو الجاهزة، وتوظيفها في انجاز العمل الفني.
2- تأثير الفكر الشرقي عموماً، والإسلامي المتمثل بالتصوف خصوصاً، في حركات الفن العالمي والغربي.
3- عَمِد فنانو الحد الأدنى على إشراك المتلقي في تفسير وتأمل العمل الفني.

ثالثاً: التوصيات: يوصي الباحث بما يأتي:

- إقامة معارض لطلبة الفنون الجميلة تتضمن قيامهم بإنجاز أعمال تتضمن موضوعات فن الحد الأدنى.

رابعاً: المقترحات: يقترح الباحث إجراء الدراسة الآتية:

- التصوف وتمثلاته في الرسم التجريدي.
- التصوف وتمثلاته في النحت المعاصر.
- التصوف وتمثلاته في الرسوم البدائية.

المراجع

1. https://www.guggenheim.org/artwork/artist/dan-flavin .
2. ADAMS, L. S. (2004). *A HISTORY OF WESTERN ART .* NEW YORK: MC GRAW - HALL.
3. edward, l. s. (2004). *dictionary of art.* slovenia: TERMS.
4. GILBERT, R. (1995). *living with art.* new york: MC GRAW - HALL.
5. haskell, b. (1982). *donald judd.* new york: whitney.
6. SAYRE, H. M. (2003). *A WORLD OF ART.* PRENTICE HALL.

7. ادوارد لوسي سميث. (1995). *الحركات الفنية بعد الحرب العالمية الثانية.* بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
8. جلال الدين سعيد. (2004). *معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية.* تونس: دار الجنوب للنشر.
9. جميل صليبا. (1982). *المعجم الفلسفي.* لبنان: دار الكتاب اللبناني.
10. حسن محمد حسن. (بلا تاريخ). *مذاهب الفن المعاصر والرؤية التشكيلية للقرن العشرينذ.* القاهرة: دار الفكر العربي.
11. حسن هادي عبد الكاظم الغزالي. (2008). *الابعاد المعرفية والجمالية للملامح الصوفية في رسم مالفيتش.* جامعة بابل.
12. حمدي صاطق أبو المعاطي. (2021). *أثر فلسفة فن المينمال على أعمال فناني الفن المعاصر.* جامعة المنيا: مجلة الفنون والعلوم الانسانية.
13. زكي نجيب محمود. (2017). *نظرية المعرفة.* مصر: مؤسسة هنداوي.

14. سعيد الخوري الشرتوني. (بلا تاريخ). *أقرب الموارد*. لبنان.

15. ضاري مظهر صالح العامري. (2011). *الجمال وجلال الجمال في القرآن الكريم وانعكاسهما في الزخرفة الاسلامية*. النجف الاشرف: دار الضياء للطباعة والتصميم.

16. كاي نك. (1999). *ما بعد الحداثية والفنون الأدائية*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

17. كريم محسن علي سمير الكعبي. (2019). تمثلات التشاؤم في رسوم التعبيرية الالمانية. *مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية العدد34*.

18. محمد سبيلا. (2017). *موسوعة المفاهيم الاساسية في العلوم الانسانية والفلسفة*. المغرب: المركز العلمي العربي للابحاث والدراسات الانسانية.

19. محمود أمهز. (1998). *التيارات الفنية المعاصرة*. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

20. هلال ابراهيم. (1395هـ). *التصوف الاسلامي بين الدين والفلسفة*. القاهرة: دار النهضة العربية.

ملحق بأسماء فناني الحد الأدنى:

1- كارل أندريه**Carl Andre** 1935- أمريكي.
2- دان فلافن**Dan Flavin** 1933-1996 امريكي.
3- دونالد جود**Donald Judd** 1928-1994 امريكي.
4- سول ليوليت**Sol LeWitt** 1928-2006 أمريكي.
5- روبرت موريس**Robert Morris** 1931-2018ر أمريكي.
6- ستيفان أنطوناكوس**Stephan Antonakos** 1926-2013 أمريكي.
7- جو بير**Jo Baer** 1929- أمريكية.
8- لاري بيل**Larry Bell** 1939-

9- رونالد بلادن**Ronald Bladen** 1918-1988 كندي.
10- ماري كورس**Mary Corse** 1945- أمريكية.
11- والتر دي ماريا**Walter De Maria** 1935-2013 امريكي.
12- روبرت جروسفينور**Robert Grosvenor** 1937 أمريكية.
13- كارمن هيرا**Carmen Herrera** 1915-2022 أمريكية من أصل كوبي.
14- ايفا هيسة**Eva Hesse** 1936-1970 ألمانية.
15- جاري كوهن**Gary Kuehn** 1939- أمريكي.
16- روبرت مانجولد**Robert Mangold** 1937- أمريكي.
17- أجنيس مارتن**Agnes Martin** 1912-2004 كندية.
18- جون ماكراكين**John McCracken** 1934- أمريكي.
19- شارلوت بوسينينسكي**Charlotte Posenenske** 1930-1985 ألمانية.
20- روبرت رايمان**Robert Ryman** 1930-2019 أمريكي.
21- فريد ساندباك**Fred Sandback** 1943-2003 أمريكي.
22- ريتشارد سيرا**Richard Serra** 1938-2004 أمريكي.
23- توني سميث**Tony Smith** 1912-1980 أمريكي.
24- روبرت سميشون**Robert Smithson** 1938-1973 أمريكي.
25- آن ترويت**Anne Truitt** 1921-2004 أمريكية.